

دلائل الإعجاز

واعلم ° أن من الكلام ما أنت ترى المزيّنة في نظمه والحُسن كالأجزاء من الصّبيع تتلاحق وينضم بعضها إلى بعض حتى تكثُر في العين . فأنت لذلك لا تُكبرُ شأن صاحبه ولا تقضي له بالحدّوق والأُستاذيَّة وسعة الذّرع وشدّة المُندّسة حتى تستوفي القطعة وتأتي على عدّة أبياتٍ وذلك ما كان من الشعر في طبقة ما أنشدتُك من أبيات البُحّريّ . ومنه ما أنت ترى الحُسن يهجمُ عليك منه دفعةً ويأتيك منه ما يملأ العين ضربةً حتى تعرف من البيت الواحد مكان الرّجل من الفاضل وموضع من الحدّوق وتشهد له بفضل المُندّسة وطُول الباع . وحتى تعلم - إن لم تعلم القائل - أنه من قِبَل شاعرٍ فحلٍ وأنه خرج من تحت يدِ صناعٍ . وذلك ما إذا أنشدتَه وضعت فيه اليد على شيءٍ فقلت : هذا هذا . وما كان كذلك فهو الشعرُ الشّاعر والكلامُ الفاخر والنمطُ العالِي الشّريف والذي لا تجده إلا في شعرِ الفحول البُرل ثم المطبوعين الذي يُلهمون القولَ إلهاماً .

ثم إنك تحتاج إلى أن تستقري عدّة قصائد بل أن تَفْلي ديواناً من الشّعْر حتى تجمع منه عدّة أبياتٍ وذلك ما كان مثل قول الأوسل وتمثّل به أبو بكر الصّديق رضوانُ الله عليه حين أتاه كتابُ خالدٍ بالفتح في هزيمة الأعاجم - الوافر - :

(تمنا ليلقانا بقومٍ ... تخالُ بياضَ لأهمهم السّرابا) .

(فقد لاقيتَنا فرأيتَ حرباً ... عواناً تمنعُ الشّيوخَ السّرابا) .

انظر إلى موضع الفاء في قوله :

(فقد لاقيتَنا فرأيتَ حرباً ...) .

ومثل قول العديّاس بن الأحنف - البسيط - :